العنوان:	علم النحو وحكم تعلمه عند ابن حزم
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	بديني، رمضان فوزي
المجلد/العدد:	س61, ع702
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2023
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	62 - 65
رقم MD:	1419543
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد، ت. 456 هـ.، النحو العربي، اللغة العربية، النصوص القرآنية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1419543

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

بديني، رمضان فوزي. (2023). علم النحو وحكم تعلمه عند ابن حزم.الوعي الإسلامي، س61, ع702- 62 ، 65. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1419543

إسلوب MLA

بديني، رمضان فوزي. "علم النحو وحكم تعلمه عند ابن حزم."الوعي الإسلاميس61, ع702 (2023): 62 - 65. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1419543

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية

علم النحو وحكم تعلمه عند ابن حزم

أكد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) - الفقيه اللغوي المتكلم الظاهري- في كثير من مؤلفاته علاقة النحو العربي بالعلوم الأخرى، باعتباره المفتاح الذي يدخل به لأي علم منها، ويعد النحو مؤديا لوظيفة تعليمية اجتماعية؛ فالغرض منه في الأصل - عنده- تعلم أصول المخاطبة والمحادثة، والقراءة لكتب العلوم والفنون؛ ولذلك أولاه عناية كبيرة تتضح من خلال المسائل والنكات النحوية المبثوثة في مؤلفاته. وفيما يلي سأعرض لمقتطفات من آراء ابن حزم النظرية في علم النحو، وفقني الله للوقوف عليها من خلال مؤلفاته، محاولا تصنيفها حسب ما يسمح به السياق؛ حيث لم يعن هو بتصنيفها في مؤلف واحد مما وصل إلينا من تراثه، لكنها كانت متوزعة في كتبه حسب طبيعة كل منها.

تعريف النحو عند ابن حزم

عرض ابن حزم لتعريف علم النحو في رسالته عن مراتب العلوم؛ حيث عرفه بأنه «معرفة تنقل هجاء اللفظ، وتنقل حركاته الذي يدل كل ذلك على اختلاف المعاني؛ كرفع الفاعل ونصب المفعول، وخفض المضاف، وجزم الأمر[١] والنهي، وكالياء في التثنية والجمع، في النصب وخفضهما، وكالألف في رفع التثنية، والواو في رفع الجمع وما أشبه ذلك. فإن جهل هذا العلم عسر عليه علم ما يقرأ من العلم»[٢].

وعرفه في سياق آخر بأنه «علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني»[٣].

أسباب نشأة النحو في رأي ابن حزم

ذكر ابن حزم أن نشأة العلوم بصورة عامة جاءت لتلبية حاجة الناس إليها بعد أن انتشر فيهم الجهل في كل من هذه العلوم، بعد أن كان السلف الصالح في غنى عنها لأنهم - أي السلف الصالح- «غنوا عن ذلك كله بما أبانهم الله به من الفضل ومشاهد النبوة، وكان من بعدهم فقراء إلى ذلك كله، يرى ذلك حسا، ويعلم نقص من لم يطلع هذه العلوم، ولم يقرأ هذه الكتب، وأنه قريب النسبة من البهائم»[٤].

ومن هذه العلوم علم النحو حيث جاءت نشأته -بحسب ابن حزم- بسبب فشو الجهل باختلاف الحركات التي تختلف بناء عليها المعاني، وأن السلف الصالح قبل ذلك لم يكونوا

في حاجة لهذا العلم بصورته التي استقر عليها؛ حيث يقول: «فما تكلم أحد من السلف الصالح -رضى الله عنهم- في مسائل النحو، لكن لما فشا جهل الناس، باختلاف الحركات التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية، وضع العلماء كتب النحو، فرفعوا إشكالا عظيما، وكان ذلك معينا على الفهم لكلام الله عز وجل، وكلام نبيه ﷺ، وكان من جهل ذلك ناقص الفهم عن ربه تعالى؛ فكان هذا من فعل العلماء حسنا وموجبا لهم أجرا»[٥].

حكم تعلم النحو عند ابن حزم

وصل اهتمام ابن حزم بالنحو مبلغا عظيما؛ حيث رتب لتعلمه أحكاما شرعية تتنقل بين فرض الكفاية وفرض العين والندب، بل يدخل في دائرة التحريم في بعض الحالات، وتفصيل هذا على النحو التالي:

أولا- واجب على الفقهاء والمفتين:

نظرا للعلاقة الوثيقة بين علمي النحو والفقه باعتبار أن النحو من المعينات المهمة على فهم الدليل النقلي من القرآن والسنة؛ أكد ضرورة تعلم النحو واللغة للفقيه والمفتي؛ حيث فرض على من قصد التفقه في الدين أن يستعين على ذلك من سائر العلوم بما تقتضيه حاجته إليه في فهم كلام ربه تعالى وكلام نبيه ﷺ.

ومن هذا المنطلق يرى أنه فرض على الفقيه أن يكون عالما بلسان العرب ليفهم عن الله -عز وجل- وعن النبي ﷺ، ويكون عالما بالنحو الذي هو ترتيب العرب لكلامهم الذي به نزل القرآن، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ[٦].

ولذلك فمن جهل اللغة -وهي الألفاظ الواقعة على المسميات-، وجهل النحو -الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني- فلم يعرف اللسان الذي به خاطبنا الله تعالى، ونبينا ﷺ[٧].

ومن أجل ذلك يشدد في هذا الأمر حتى يحرم على الجاهل بالنحو واللغة أن يفتي في دين الله، وحرم أيضا على المسلمين استفتاءه؛ حيث يقول: «وأما من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه؛ لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به. وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم»[٨].

ثم يدلل على رأيه هذا ببعض الآيات القرآنية التي ينهى الله عز وجل فيها عن اقتفاء ما ليس للإنسان به علم؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٣)، وقوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥).

ثم يعقب عليها: «فمن لم يعلم اللسان الذي به خاطبنا الله عز وجل، ولم يعرف اختلاف المعاني فيه لاختلاف الحركات في ألفاظه، ثم أخبر عن الله بأوامره ونواهيه؛ فقد قال على الله ما لا يعلم»[٩].

واستدل أيضا ببعض الأدلة العملية المنطقية؛ إذ يقول: «وكيف يفتي في الطهارة من لا يعلم (الصعيد) في لغة العرب؟! وكيف يفتي في الذبائح من لا يدري ماذا يقع عليه اسم (الذكاة) في لغة العرب؟! أم كيف يفتي في الدين من لا يدري خفض اللام أو رفعها من قول الله عز وجل: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ (التوبة: ٣)؟ ومثل هذا في القرآن والسنة كثير، وفي هذا كفاية»[١٠].

ويؤكد في سياق آخر هذا الأمر فيقول: «ومن لم يعرف ذلك اللسان لم يحل له الفتيا فيه؛ لأنه يفتي بما لا يدري، وقد نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦)، وبقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الحج: ٣ و٨)، وبقوله تعالى:

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ (آل عمران: ٦٦)، وقال تعالى: ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ (النور: ١٥)...»[١١].

ونجده أيضا بعد عرضه لبعض حروف المعاني ووظائفها يقول: «لا بد للفقيه أن يكون نحويا لغويا، وإلا فهو ناقص، ولا يحل له أن يفتي لجهله بمعاني الأسماء وبعده عن فهم الأخبار»[١٢].

ويصل من ذلك لنتيجة وهي «لزم لمن طلب الفقه أن يتعلم النحو واللغة، وإلا فهو ناقص منحط، لا تجوز له الفتيا في دين الله عز وجل»[١٣].

ثانيا- فرض كفاية على العامة:

تتعزز قيمة النحو عند ابن حزم باعتباره مؤديا لوظيفة تعليمية اجتماعية؛ فالغرض منه في الأصل تعلم أصول المخاطبة والمحادثة والقراءة لكتب العلوم والفنون، بالإضافة لوظيفته الخاصة بالفقيه باعتباره الأداة التي يستنبط من خلالها الفقيه الأحكام الفقهية، كما مر.

ولذلك فابن حزم ينهى عامة الناس وطلاب العلم عن الإغراق في تتبع المسائل العويصة في النحو التي لا تعد من اختصاص العامة أو من موجبات تعلم اللغة «كنحو المسائل الطوال التي أدخلها أبو العباس المبرد في صدر كتابه (المقتضب) في النحو؛ فإنها لا ترد على أحد أبدا لا في كتاب ولا في كلام... ولسنا نذم من طلب هذا كله بل نصوب رأيه...»[١٤].

وبناء على ذلك يرى ابن حزم أن علم النحو من العلوم الواجبة على المسلمين على الكفاية، بالإضافة لعلم القراءات والحديث وعلم اللغة؛ بمعنى أن من قام بطلبها حتى يعم بعلمه تعليم من طلبها أو فتيا من استفتاه فيها من أهل بلده أو قريته.. فإذا قام بذلك من يغنى بهذا القدر، سقط فرض طلبها حينئذ عن الباقين، إلا ما يخص كل إنسان في نفسه فقط[١٥].

وفي هذا السياق يقول:

«وأما النحو واللغة ففرض على الكفاية... لأن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم: ٤)، وأنزل القرآن على نبيه -عليه السلام- بلسان عربي مبين؛ فمن لم يعلم النحو واللغة، فلم يعلم اللسان الذي به بين الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولابد منه على الكفاية كما قدمنا»[١٦].

ويرى ابن حزم أن من تعلم النحو بنية إقامة الشريعة أجر أجرا عظيما ومرتبة عالية؛ حيث يقول: «ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن وفهم حديث النبي ﷺ ولو سقط لسقط الإسلام.

فمن طلب النحو واللغة على نية إقامة الشريعة بذلك، وليفهم بهما كلام الله تعالى وكلام نبيه وليفهمه غيره بهذا له أجر عظيم ومرتبة عالية لا يجب التقصير عنها لأحد»[١٧].

ويؤيد كلام ابن حزم السابق في تقسيم وجوب تعلم النحو إلى واجب على الأعيان وواجب على الكفاية ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث يقول: «فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية»[١٨].

ثالثا- مندوب للتكسب والتعيش:

يرى ابن حزم أن من طلب علم النحو واللغة للاكتساب فهو مأجور محسن؛ حيث يقول: «فمن طلب علم النحو واللغة على النية التي ذكرنا فهو أعظم أجر وأفضل علم. ومن طلبهما ليكونا له مكسبا ومعاشا فهو مأجور محسن، ولكن أجره دون أجر الأول، وفوق سائر الصناعات التي يعاش منها؛ لأنه يعلم الخير، ويبقي آخر عالما فيمن علم»[١٩].

رابعا- محرم لمناصرة فساق الملوك:

هناك بعض النيات في تعلم النحو واللغة التي يرى ابن حزم أنها محرمة، وهي تعلمهما بنية مساعدة الظالمين والملوك الفاسقين، يقول ابن حزم: «ومن طلبهما ليتوصل بهما إلى إقامة المظالم، وإحياء رسوم الجور، والتدرب في أحكام المكوس[٢٠] والقبالات[٢١] والمخاطبة عن فساق الملوك بما يرضيهم ويسخط الله عز وجل؛ فقد خاب وخسر، وغدا في لعنة الله وراح فيها؛ لأنه ظالم، وقد قال الله: ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ١٨)... »[٢٢].

علم النحو ورواية القرآن والحديث

في معرض حديثه عن وجوب تعلم النحو على الفقهاء والمفتين تطرق ابن حزم لأهمية النحو في رواية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ لضمان عدم تطرق اللحن المخل بما يحويانه من معان - باعتبارهما مصدري التشريع المتفق عليهما-، ويعتبر أن اللحن في روايتهما معصية تستوجب العقاب.

فبالنسبة للقرآن الكريم: يضرب ابن حزم أمثلة على ما يمكن أن يعتري بعض الآيات من لحون تؤدي لأخطاء كبيرة في فهمها؛ يصل بعضها إلى الحكم بالخروج من الملة في حالة القصد؛ حيث يقول: «ولهذا صار طالب الحقائق مضطرا إلى قراءة

النحو، ألا ترى أن قارئا لو قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨)؛ فرفع الهاء من (الله)، ونصب الهمزة من العلماء قاصدا إلى ذلك وهو عالم؛ لكان ذلك خروجا عن الملة، وكذلك لو قرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ٣) -بكسر اللام من (رسوله)- فتحفظ من مثل هذا تحفظا شديدا.

ومن ذلك أشياء تقع في العطوف محيرة؛ كنحو ما غلط فيه جماعة من العلماء في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧)؛ فظنوا أن (الراسخون في العلم) معطوفون على الله عز وجل، وليس كذلك، وإنما هو ابتداء كلام وقضية، وعطف جملة على جملة...»[٢٣].

أما بالنسبة للحديث النبوي الشريف: فابن حزم يضع ضوابط صارمة لرواية الحديث النبوي؛ بحيث يضمن ألا يتطرق له أي احتمال للحن، وحكم على من لحن فيه عامدا بالكذب واستحقاق نار جهنم في الآخرة؛ حيث يقول: «وأما اللحن في الحديث فإن كان شيئا له وجه في لغة بعض العرب فليروه كما سمعه، ولا يبدله، ولا يرده إلى أفصح منه ولا إلى غيره، وإن كان شيئا لا وجه له في لغة العرب ألبتة فحرام على كل مسلم أن يحدث باللحن عن النبي ﷺ فإن فعل فهو كاذب مستحق للنار في الآخرة؛ لأنا قد أيقنا أنه -عليه السلام- لم يلحن قط كتيقننا أن السماء محيطة بالأرض، وأن الشمس تطلع من المشرق وتغرب من المغرب»[٢٤].

ما لا يسع طالب العلم جهله من النحو

يرسم ابن حزم طريقا لطالب العلم؛ إذ يقول: «ينبغي لطالب كل علم أن يبدأ بأصوله التي هي جوامع له ومقدمات، ثم بما لا بد منه من تفسير تلك الجمل، فإذا تمهر في ذلك وأراد الإيغال والإغراق فليفعل؛ فإنه من تدرب بالوعر زاد ذلك في خفة تناوله السهل»[٢٥].

ويحرص ابن حزم في أكثر من موضع من مؤلفاته على التأكيد على تعلم حد أدنى من النحو لا يجوز لطالب العلم أن يتنازل عنه، وفي سبيل ذلك يحرص أيضا على ذكر بعض المصادر النحوية التي يراها تحقق الحد المطلوب من علم النحو لطلاب الحقائق والعلوم؛ حيث يقول: «والذي يجب على طالب العلم ألا يقتصر على أقل منه من النحو فمعرفة ما يمر من القرآن والسنة من الإعراب، ويكفي من ذلك كتاب (الواضح)[٢٦]، أو كتاب الزجاجي[٢٧]. فإن قال وأوغل حتى يحكم كتاب سيبويه وما جرى مجراه فقد أحسن، وذلك زيادة في فضله وأجره»[٢٨].

ويؤكد المعنى نفسه في موضع آخر حيث يقول: «ولا بد له - يقصد طالب الحقائق- من مطالعة النحو، ويكفيه منه ما يصل به إلى اختلاف المعاني بما يقف عليه من اختلاف الحركات في الألفاظ ومواضع الإعراب منها، وهذا مجموع في كتاب (الجمل) لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي الدمشقي»[٢٩].

وهكذا رأينا اهتمام ابن حزم بعلم النحو من الناحية النظرية، والمستقرئ لمؤلفاته، سواء في تفسير القرآن أم الفقه وأصوله أم العقيدة وعلم الكلام سيجد أثر هذا الاهتمام واضحا بصورة تطبيقية، تنعكس في اختيار بعض آرائه وتوجيهاته واستنباطاته بناء على الدليل اللغوية بصورة عامة، والنحوي بصورة خاصة.

الهوامش

١- القول بأن فعل الأمر مجزوم وليس مبنيا هو قول الكوفيين، أما البصريون فيرون أنه مبني (الإنصاف في مسائل الخلاف: (٤٢٧/٢) وما بعدها.

٢- رسائل ابن حزم (مراتب العلوم): (٦٦/٤).

٣- الإحكام: (١٢٦/٥).

٤- رسائل ابن حزم (التقريب لحد المنطق): (٩٥/٤).

٥- رسائل ابن حزم (التقريب): (٩٤/٤، ٩٥).

٦- الإحكام: (١٢٦/٥).

٧- السابق نفسه.

٨- رسائل ابن حزم: (١٦٢/٣، ١٦٣).

٩- رسائل ابن حزم: (١٦٢/٣، ١٦٣).

١٠- رسائل ابن حزم: (١٦٣/٣).

١١- الإحكام: (١٢٦/٥).

١٢- السابق: (٥٢/١).

١٣- السابق: (٨٩/٢).

١٤- رسائل ابن حزم (التقريب): (٢١٧/٤).

١٥- يرى أن الذي يلزم كل إنسان من حفظ القرآن هو أم القرآن وشيء من القرآن معها، ولو سورة أي سورة كانت، أو أي آية، فهذا لا بد لكل إنسان منه حتى تصح صلاته.

١٦- رسائل ابن حزم: (١٦٢/٣).

١٧- رسائل ابن حزم: (١٦٢/٣).

١٨- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: (ص: ٢٠٧).

١٩- السابق نفسه.

٢٠- المكوس: جمع مكس. وأصل المكس -في اللغة-: النقص والظلم. وفي الاصطلاح: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة. انظر: القاموس المحيط: (ص: ٧٤٢) (مادة: مكس).

٢١- القبالة - بالفتح-: الصك الذي يكتب فيه الدين ونحوه. انظر: حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: (١٢١/٥).

٢٢- رسائل ابن حزم: (١٦٣/٣).

٢٣- رسائل ابن حزم: (٣١١/٤).

٢٤- الإحكام: (٨٩/٢).

٢٥- السابق: (٢١٧/٤).

٢٦- يقصد كتاب «الواضح في النحو» لمحمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي.

٢٧- يقصد كتاب «الجمل» لأبي عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي.

٢٨- رسائل ابن حزم: (١٦٤/٣).

٢٩- السابق: (٣٤٤/٤).